

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها (١٥٢١-١٥٢٥)

الاستاذ الدكتور
الهام محمود كاظم
جامعة الكوفة- كلية التربية للبنات

الباحثة
مريم هادي الياسري
مؤسسة وارث الانبياء- النجف

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ون نتائجها (١٥٢١-١٥٢٥)

الاستاذ الدكتور
الهام محمود كاظم
جامعة الكوفة- كلية التربية للبنات

الباحثة
مريم هادي الياسري
مؤسسة وارث الانبياء- النجف

المقدمة:

شهدت الدول الأوروبية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر أوضاعاً غير مستقرة في جميع جوانب الحياة نظراً لما حصل من تحولات جذرية أثرت سلباً على العلاقة التي كانت تربط بين الدول الأوروبية مما حدا بالمؤرخين وصف هذا القرن بـ (قرن التحولات)^(١)، إذ نجد كل دولة تسعى لبناء كيائها السياسي والإقليمي على حساب الدولة المجاورة لها مما جعل الحدود السياسية تتغير بين الحين والآخر خاصة بعد دخول فرنسا الحرب مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة وما رافقها من تطورات سياسية ودبلوماسية تراوحت بين الموائيق والمعاهدات تارة والصراعات والحروب تارة أخرى، لذا مثّل تولي شارل الخامس عرش الامبراطورية الرومانية المقدسة عام ١٥٢٠ بداية جديدة من الصراع مع فرنسا والذي انعكس بدوره على توتر العلاقات

الفرنسية - الأوروبية^(٢)، كما شهد عهد فرانسوا الاول تنامي الخطر العثماني الذي تجسّد بطموحات السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) التوسعية صوب العالم المسيحي، مستفيداً من تناحر الدول الأوروبية فيما بينها الى مستوى مكنه من توقيع اول معاهدة امتيازات عثمانية في تاريخ العلاقات المسيحية - الاسلامية مع فرنسا، بعد ان حاول ملكها فرانسوا الاول كسر التحالف الاوربي ضده وانقاذ سمعته وعرشه، الامر الذي اقلق أوروبا وفي مقدمتها البابوية من الخطر العثماني على مصالحها الاقتصادية ووحدها الدينية واستقرارها السياسي على حدٍ سواء^(٣).

تطلبت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وثلاث محاور وخاتمة، درس المحور الأول البدايات الأولى للصراع بين الملك فرانسوا الأول والإمبراطور شارل الخامس، وتضمن المحور

سياسة فرنسا تجاه الإمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

الثاني معركة بافيا عام ١٥٢٥ وأسر الملك فرانسوا الأول، في حين ناقش المحور الثالث نتائج معركة بافيا وعقد معاهدة مدريد عام ١٥٢٦، وقد ذُلت هذه الدراسة بالهوامش والمصادر التي رجعنا إليها رُتبت حسب الحروف الأبجدية وبخرايط توضيحية تمثل أهم الأحداث التي رافقت سياسة فرنسا وحلفائها تجاه الإمبراطورية الرومانية المقدسة وحلفائها، ونأمل أن تُقدم هذه الدراسة صورة واضحة لتاريخ فرنسا في النصف الأول من القرن السادس عشر.

المحور الأول: بدايات الصراع بين الملك فرانسوا الأول والإمبراطور شارل الخامس (١٥٢١-١٥٢٤).

عندما تولى فرانسوا الأول^(٥) العرش الفرنسي عام ١٥١٥ كان شغله الشاغل أن تكون له صلاحيات مطلقة كسابقه من ملوك فرنسا كي يقوم بحملة كبيرة للاستيلاء على إقليم ميلان الايطالي ولذلك كان مضطراً لتجديد معاهدة لندن^(٦)، لكن لم تدم طويلاً حيادية إنجلترا لأنه بالرغم من التصديق على معاهدة لندن لم يكن على ما يبدو أن الملك الانجليزي هنري الثامن مستعداً للبقاء على الحياد^(٧)، وقد بدأ بالهجوم على فرنسا اثناء حملة فرانسوا الاول في ايطاليا وقد اعد كل ما يلزم للحرب لتجهيز الاسطول واعداد الجيش، غير ان الانتصار الفرنسي في معركة مارينان نتج عنه تغيير ملك إنجلترا

لخطته العسكرية ولم يؤد هذا الى تراجع عن تدبير الدسائس والمؤامرات فقام بتقديم (١٠٠) الف كورون الى القائد العسكري النمساوي ماكسيم من اجل مساعدة الامبراطور في مقابل الاقاليم السويسرية لكن المشروع فشل بسبب انقسام السويسريون وعدم قدرة مكسمليان على الحرب وتشتت جيشه امام ميلان الا ان هذا الفشل لم يثن هنري الثامن الاستمرار في محاولاته ضد فرنسا^(٨).

بسبب انشغال الامبراطور شارل الخامس وحلفائه في حربه مع فرنسا، باتت الفرصة سانحة امام الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني بشن حملات عسكرية لاحتلال جزيرة رودس، تلك الجزيرة التي لم تسعفها الاستحكامات التي وضعها الملك فرانسوا الاول، لدفع الخطر العثماني في الحادي والعشرون من آذار عام ١٥٢١، فقد كان الملك الفرنسي قد صرف جل جهده في الجهات الاوربية لصد هجمات جيش الامبراطور وحلفائه، فضلا عن اوضاع فرنسا الداخلية التي كانت ليست على ما يرام، بعد ان ساند الملك فرانسوا الاول حركة ميوكس الاصلاحية (la réforme Meaux)^(٩) من اجل بناء جبهته الداخلية لمواجهة الخطر الخارجي المتمثل باحتلال القوات الاسبانية لمدينتي ميلان وتورناي في تشرين الثاني ١٥٢١^(١٠)، وقد ردّت فرنسا على

ذلك في شهر كانون الاول من السنة ذاتها بعد ان حشدت جيشاً ضمَّ مرتزقة سويسريين بقيادة لاوترس وارسلته الى شمال ايطاليا، الا انه اضطر الى التراجع عن مدينة ميلان ليعسكر قرب نهر آدي، ذلك المكان التي مني فيه بهزيمة نكراء في معركة بيكوك (Bicoque)^(١١) في السابع والعشرين من نيسان ١٥٢٢ على يد الجيش الامبراطوري بقيادة فرناندو افالوس، بعد ان تفهقر من تبقى من جنوده الى مدينة جنوا في الثالث والعشرين من أيار من السنة ذاتها^(١٢).

ان ذلك النصر الذي حققه الامبراطور على فرنسا، شجع انجلترا من الانضمام الى جبهته في السادس عشر من حزيران تحت ذريعة مساعدة الملك فرانسوا الاول لاسكتلنديين ضدها، وقد استهلت دخولها الحرب بتوقيع معاهدة وندسور (Windsor)، مع الامبراطور شارل الخامس في السادس عشر من حزيران عام ١٥٢٢ بعد ان ضمنَّتها شروطها، اذ جاء فيها:

١- مساندة إنجلترا للإمبراطور عند مهاجمة فرنسا تقدر بـ (١٠) آلاف مقاتل.

٢- وعد الإمبراطور شارل الخامس بتعويض الخسائر التي لحقت بإنجلترا بسبب الصراع مع فرنسا.

٣- تعهد الإمبراطور بدفع الديون التي بذمتها لإنجلترا.

٤- ولضمان ذلك وافق الإمبراطور على الزواج من الأميرة ماريا ابنة الملك هنري الثامن^(١٣).

ترجم الانجليز تحالفهم الآنف الذكر، على ارض الواقع من خلال توجيه هجمة مؤلفة من (١٥٠) الف جندي، تحركت من غاليسيا (Galice)- شمال غرب إسبانيا- صوب بريتاني وبيكارديا^(١٤)، إذ تعاقبت الهزائم على الحدود الشمالية لفرنسا واصبحت الاوضاع خطرة للغاية بعد ان هاجم الانجليز والجيش الامبراطوري بيكارديا واستطاعوا الاستيلاء على بعض المواقع الفرنسية بعبورهم نهر السوم (Some) وهذا ما جعل امن باريس مهدداً ولم يكن الملك يرغب بأن يظهر غير مبالياً بالخطر امام الآخرين واعلن انه يريد العودة الى باريس لمشاركة اهالي باريس والدفاع عن الوطن، لكن نجد ان تلك الحملة تخلفت عن مواقعها التي احتلتها بعد ان حافظت عليها اربعة اشهر، لكن وبسبب انشغال جيش الامبراطور في جبهة شمال ايطاليا وعدم تمكنه من تعزيز مواقعه اضطر إلى الانسحاب^(١٥).

بعد فشلها في تحقيق اهدافها من حملتها الاولى، عمدت انجلترا الى تشجيع الحركات الانفصالية داخل فرنسا من اجل اضعاف جبهة الملك فرانسوا الاول الداخلية، ففي الثلاثين من أيار عام ١٥٢٢، شجعت كل من انجلترا والامبراطور شارل الخامس تمرد الكونستابل^(١٦) شارل الثالث

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

دوق بوربون (Duke Bourdeon) Charles V (8th)^(١٧) ضد الملك فرانسوا الاول مستغلين سوء علاقته مع الاخير^(١٨)، وقد هدفت انجلترا من وراء ذلك حصولها على نورماندي وبريتاني في حال نجاح التمرد^(١٩)، في ذات السياق قرر الامبراطور شارل الخامس التدخل بشكل غير مباشر في تدهور أمن فرنسا الداخلي واستقرارها، وبذلك التقت اهداف كل من انجلترا والامبراطورية الرومانية المقدسة لذا عقدتا في التاسع والعشرين من شهر ايلول عام ١٥٢٢ اتفاقاً مع الكونستابل شارل دوق بوربون والذي نص على:

- ١- يقوم الكونستابل بتحريك ثورة في فرنسا للإطاحة بحكم فرانسوا الأول في الوقت الذي يهاجم فيه الإمبراطور شارل الخامس وملك إنجلترا هنري الثامن الأراضي الفرنسية.
- ٢- يستولي ملك إنجلترا على بعض مقاطعات فرنسا ثم يتوج في باريس ملكاً عليها.
- ٣- يسترد الكونستابل الأراضي التي انتزعت منه ويضيف إليها أراضي جديدة من فرنسا.
- ٤- تكون تلك الأراضي (التي يستولي عليها الكونستابل) نواة لإنشاء مملكة مستقلة في جنوب فرنسا تشمل بصفة مبدئية مقاطعتي بروفانس (Provence) ودوفينييه (Doupnine) جنوب فرنسا.

٥- يتزوج الكونستابل اذا نجحت الخطة واصبح ملكاً على فرنسا اخت الامبراطور الكبرى أليانو^(٢٠).

وبناءً على ما تقدم وضعت خطة حربية لهجوم ثلاثي على الأراضي الفرنسية، وبمقتضى هذه الخطة يتقدم الكونستابل بقواته الى جنوب فرنسا في الوقت الذي تكون فيه القوات الفرنسية قد كثفت جهودها العسكري في مناطق شمال ايطاليا^(٢١) على ان يبدأ ملك انجلترا هنري الثامن بالهجوم على فرنسا من ثغر كاليه في الشمال الشرقي ويزحف جيش الامبراطورية الرومانية المقدسة عبر جبال البرانس على الأراضي الفرنسية في الشمال الغربي وتم الاتفاق حين تتحقق هزيمة فرنسا على تقسيمها الى ثلاثة اجزاء على ان يحصل شارل بوربون على مناطق جنوب شرق فرنسا بينما يحصل الامبراطور على بورغندي - شامبين وبيكاردي ويكون ما تبقى من اراضي فرنسا نصيب انجلترا بضمنها نورماندي وبريتاني، ليضمن بذلك الامبراطور ربط ممتلكاته بإسبانيا بأمانة تدين له بالولاء في الوقت الذي تؤمن انجلترا نفسها من اي غزو خارجي من جبهتها^(٢٢)، وكانت النتيجة ان اخفق الهجوم الثلاثي على فرنسا.

كل تلك الظروف جعلت فرنسا في محنة سياسية فحاول الملك فرانسوا الاول استغلال الخطر العثماني المحقق بممتلكات آل هابسبورغ، فسعى

سياسة فرنسا تجاه الأمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

للتقرب الى هنغاريا ومساعدتهم لكسب جانبهم واضعاف الامبراطور ومن اجل استمالتها ضد آل هابسبورغ ارسل الدبلوماسي الفرنسي رانكون في ايلول ١٥٢٢ والتقى بنائب الملك الهنغاري بورنميسزا (Bornemisza) في بودا (Buda) الميال الى الدبلوماسية الفرنسية، وقد اعرب رانكون (Rankon) عن تأثر الملك لما تعرضت له هنغاريا من دمار وهزائم متكررة على يد الجيش العثماني كما دعى الاشراف والنبلاء الهنغاريين الى الوقوف الى جانب ملك فرنسا لإنقاذ ملك هنغاريا ومملكته من نيران فرديناند الأول (Ferdinand I) (٢٣) وأخيه الامبراطور، مؤكداً على ان :

"الملك لا يتردد بتزويدك وتجهيزك بكل ما تحتاجه من مساعدة" (٢٤).

رافق رانكون الملك ونائبه الى كراكوفي (Cracovie)، واستغل السفير الفرنسي هذه الفرصة لاستمالة النبلاء البولنديين الى الجانب الفرنسي لأضعاف العلاقات النمساوية - البولندية، كما ابدى ملك بولندا سيجموند (Sigmund) عن استعداده لتوثيق العلاقات مع فرنسا عن طريق الزواج كما نصح الاخير رانكون للذهاب الى جون زابوليا ملك ترسلفانيا المؤيد للسياسة الفرنسية وكسبه الى جانبه بإبلاغه عن طموح فرديناند بضم ترسلفانيا الى املاكه وانه لا يستطيع عمل شيء دون التحالف

معهم (٢٥)، وفي ذات العام شهدت فرنسا حدثاً داخلياً مهماً زاد من دعم الامراء البروتستانت الالمان للملك فرانسوا الاول، عندما قام لوي دي بركان (Lowd Barkan) بترجمة بعض رسائل مارتن لوثر (Martin Luther) (٢٦) وحكم عليه السوربون بالهرطقة (Hérésie) (٢٧) وأمر بالقبض عليه، فتدخل الملك الفرنسي بناءً على طلب اخته مارجريت دي فالوا (Marguerite de Valois) (٢٨) وأطلق سراحه (٢٩).

من جانب آخر فقد توجه الملك فرانسوا الأول إلى أقليم لومباردي، بقوة تتأهز ثمانية عشر الف مقاتل في تشرين الاول عام ١٥٢٣ بعد أن تلقى مساندة من قبل قوات المرتزقة السويسريين، وتمكن من اجبار القوات الإمبراطورية على الانسحاب إلى ميلان، غير إن انسحابها لم يدم طويلاً فقد تمكنت تلك القوات بعد إن تلقت نجدات عسكرية وفي مقدمتها مساعدة الكونستابل شارل دوق بوربون في آذار ١٥٢٤ من تجميع قواتها وهزيمة الفرنسيين في معركة سيزيا (Sesia) (٣٠) - أحد فروع نهر بو في إيطاليا - على أثر ذلك انسحبت القوات الفرنسية عبر جبال الالب التي لاحقتها القوات الإمبراطورية إلا أنها لم تحقق انتصاراً في فرنسا فأنسحبت إلى إيطاليا، وبقيت الأوضاع هكذا حتى منتصف عام ١٥٢٤، إذ لم يكن أي طرف قادر على حسم الحرب لصالحه حتى باتت

سياسة فرنسا تجاه الإمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

الفرصة مؤاتية للجيش الفرنسي، بعد انسحاب القوات الإمبراطورية من ميلان في منتصف حزيران ١٥٢٤ وتقدم الاربعون ألف مقاتل نحو ميلان، فأضطر الجيش الإمبراطوري إلى أن يعسكر في لودي (Lodi) وذلك في السادس والعشرون من شهر تشرين الأول من نفس العام^(٣١).

امام ذلك الوضع الحرج، وضعت قوات التحالف الامبراطوري، في تشرين الاول ١٥٢٤ خطة جديدة للإطاحة بعرش فرنسا وتقسيم ممتلكاتها، تقضي اعداد حملة يشترك فيها كل من الإمبراطور شارل الخامس والملك هنري الثامن والكونستابل شارل دوق بوربون^(٣٢)، وطبقاً لهذه الخطة قام الاخير بهجوم على مقاطعة بروفانس جنوب فرنسا، ولما كان ثغر مارسيليا يقع في حدود هذه المقاطعة توقع الكونيسابل ان يقوم سكان هذه المقاطعة بثورة على التاج تعبيراً عن ولائهم لسيدهم الاقطاعي الكونستابل ليواصل الاخير زحفه على باريس عن طريق وادي نهر الرون ومدينة ليون، في حين يقوم ملك انجلترا هنري الثامن بإعادة الهجوم على اقليم بيكاردي شمال فرنسا ثم يواصل زحفه على باريس من ناحية الشمال ويتم تنويجه في العاصمة باريس^(٣٣).

قد كان للقومية الفرنسية دور كبير في التصدي لهذا التحالف^(٣٤)، فضلاً عن تسلم

الكاردينال جيل دي مديتشي (Gilles de Medici) الإرادة البابوية بلقب البابا كلمنت السابع (Clement VII)^(٣٥)، والذي سعى إلى إبعاد البابوية عن تأثير العاهلين المتصارعين، لذا نراه بعد فترة وجيزة ينبذ تحالفه مع الإمبراطور شارل الخامس وينظم إلى جانب الملك الفرنسي^(٣٦).

بعد هزيمة جيش التحالف الإمبراطوري وفشل المؤامرة التي أُخِيت ضد الملك فرانسوا الاول، عبر الاخير جبال الالب مجدداً وتوغل دون أي صعوبات تذكر في لومبارديا وصار سيداً على دوقية ميلان التي فتحت أبوابها للجيش الفرنسي حال وصوله إليها، في الوقت الذي لم يحاول اتباع الإمبراطورية الرومانية المقدسة الدفاع عنها بل حاولوا الانسحاب، إذ وجد الملك فرانسوا الاول نفسه مع جيشه البالغ عدده ثلاثون الف جندي على ابواب مدينة بافيا (pavie) التي كان موجوداً فيها القائد الإسباني انتوني دي ليفا (Antonio de Leiva) على رأس جيش كبير مؤلف من المرتزقة الألمان والاسبان^(٣٧)، وقد تم محاصرة المدينة بعد مرابطة الجيش في خمس مواقع على اطراف المدينة وجرت عدة محاولات للاستيلاء عليها بالقوة، لكن حصارها طال أمده، وقاوم جنود الامبراطور الجوع بسبب النقص في المواد الغذائية، بكل شجاعة وحاول البابا كلمنت السابع

الوساطة بين الطرفين، إلا إنه فشل في ذلك لذا تحالف سراً مع الملك فرانسوا الاول والبنادقة^(٣٨). ولغرض تقليل زخم العدو، أرسل الملك فرانسوا الاول جيشاً بقيادة دوق دي ألباني (Duek de Albany) باتجاه مملكة نابولي، اما الإمبراطور شارل الخامس فقد رأى مستشاريه ضرورة التنازل عن إقليم ميلان إلى فرنسا من أجل الحفاظ على مملكة نابولي، الامر الذي رفضه الإمبراطور بشكل قاطع معوّلاً على الجيش المنسحب من بروفانس بعد أن أمده بتعزيزات ألمانية بقيادة الكونستابل شارل دوق بوربون^(٣٩) والبالغ عدد جيشه ما يقارب الثلاثين ألفاً يساعده قاندين تمرسا في الحروب الايطالية وهما لانوي (Lannoy) نائب الملك في نابولي وبسكير (Beacaire) الذي خطب في الجنود قائلاً:-

"ليس لدينا اي طعام نقات

به في الغد، ولكن المعسكر

الفرنسي يزخر بالخبز

والنبيذ واللحوم، فإذا أردتم ان

تأكلوا غداً فعليكم ان تزحفوا

على المعسكر الفرنسي"^(٤٠).

تقدم باتجاه الجيش الفرنسي الذي كان معسكراً منذ فترة طويلة بالقرب من أسوار المدينة المهددة بالسقوط^(٤١)، والتحم الجيشان في الاراضي الايطالية مُنيّ فيها الجيش الفرنسي بهزيمة

منكرة، وأصبح الملك فرانسوا الاول في وضع لا يُحسد عليه، إذ أصبحت الاقاليم الجنوبية من مملكته مهددة بالغزو، لذا حاول طمنت البابا كلمنت السابع كي يحافظ على وضعه بأنه سوف يعبر جبال الالب مجدداً مع ثلاثين ألف جندي في فصل الربيع القادم وأضاف قائلاً:-
"في حالة عدم قيامه

بذلك، فأن من حق البابا

عدم تصديقه احترامه

كملك وكذلك كمسيحي"^(٤٢).

قد نفذ ما وعدّ به عند اعلانه في شهر تشرين الاول عن حملته للاستيلاء على شمال ايطاليا، فتوجه من مدينة أكس التي أقام بها أربعة أشهر باتجاه جبال الالب لعبورها باتجاه إيطاليا من أجل الاستيلاء أولاً على سهل بيدمونت قبل وصول قوات الإمبراطور واستيلائه عليها، في حين وجد قادة فرنسا العسكريين أن وقت الحملة كان غير مناسب لقدم فصل الشتاء وبدأوا يخشون إيطاليا ويعتبرونها عقبة بوجه الجيش الفرنسي كما وصفوها بأنها مقبرة تبتلعهم بالتدريج^(٤٣).

رفض الملك فرانسوا الاول أي إعتراض أو تأخير، وقرر مجابهة مخاطر الغزو التي عرض لها مملكته من مآثر الاحتلال الذي كان يعتقد بأنه ضروري، وحاول أن يبين لجيشه وشعبه أهمية ذلك الغزو والنتائج المؤكدة لنجاح هذه

الحملة إذا استطاع أن يدخل إيطاليا قبل غيره من الجيوش، فأن الحرب سوف تنتهي بدون معركة ودعاهم إلى التمتع بالشجاعة وبذل الجهد مما يؤدي إلى راحة فرنسا واستقرارها مستقبلاً فتوجه بجيشه ومدفعيته إلى قمم جبال الالب دون النظر إلى المصاعب التي سيواجهها بسبب وعورة المنطقة والعقبات المألوفة لفصل الشتاء^(٤٤)، ويبدو ان الظروف المناخية كانت مؤاتية بالنسبة له، فحتى تلك اللحظة لم تبدأ الامطار بالسقوط في الاودية والثلوج لم تغط سفوح الجبال بعد باستثناء قمم المقاطعات ومنسوب الانهار كان منخفضاً، مما سهل عبورها من قبل الملك فرانسوا الاول الذي وصل مع جيشه إلى مدينة فيري (Vereuil) في نفس اليوم الذي انسحب فيه جيش الإمبراطورية من فينال (Finale) عابراً جبال الالب للدفاع عن مداخل بيدمونت، إلا أن الجيش كان منهكاً من التعب لطول المسافة التي قطعها وانهايار الحالة النفسية بسبب خوض مشروع كان محكوم عليه بالفشل مسبقاً، لذا اضطر إلى ترك الكثير من مستلزماته ومدفعيته في الطرق التي سلكها^(٤٥).

تجدر الإشارة الى أن هذه الجيوش كانت غير قادرة على منع غزو لومبارديا من قبل القوات الفرنسية، في نفس الوقت اما الإمبراطور شارل الخامس فقد أدرك بعد أن تشاور مع الماركيز بيسارا (Pesera) ودوق بوربون، أن جيشاً

أصابه الضعف ووهنت عزيمته غير قادر على مجابهة الجيش الفرنسي الذي يقوده الملك نفسه وكان يتمتع بحيوية ونشاط كبير، فضلاً عن عدده وعدته^(٤٦). لذا استقرت في إستي (Asti) في الجانب الإيطالي وقد طالب جزء من الجيش بإلحاح كبير بضرورة انتظار الكونستابل شارل دوق بوربون المعسكر أمام مارسيليا والذي كان يأمل من ملك نابولي لانوي (Lannoy) الانضمام إلى باقي الجيش الإمبراطوري القادم من مدينة بروفانس (Provence) لإيقاف تقدم الجيش الفرنسي ومنعه من الدخول إلى ميلان، لكنه فقد ذلك الأمل بعد تراجعته من Asti إلى Alba.

نتيجة لذلك فأن قادة الإمبراطور تخلوا عن فكرة الحفاظ على خط تيسم (Tessim) مدركاً أهمية السيطرة على المواقع الداخلية الحصينة للدفاع عن دوقية ميلان وعدم التخلي عنها كلياً وقرروا الاحتفاظ بمدينة الاسكندرية على نهر تانرا (Tannra)، إذ ترك القائد كومو (Como) ألفي رجل في البحيرة التي تحمل نفس الاسم وكذلك في مدينة بافيا على نهر تسم و لودي (Lodi) و بيزيغيتوني (Pizzighettone) وأخيراً كريمونا (Cremone) على نهر البو (Po)^(٤٧)، وبهذا ستبقى أماكن حصينة تحت سيطرتهم، وفي ذات الوقت توجه القائد بيسكارا (Pescara) بجيش يتكون من خمسة آلاف وخمسمائة إسباني

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

وثلاثمائة محارب إلى مدينة بافيا، وكان الإمبراطور قد عهد بالدفاع عن هذه المدينة التي تعد ثاني مدن الدوقية إلى القائد انتوني دي ليرا (Antonio de Lira)، القائد المحترف الذي اثبت جدارة فائقة في الحروب الإيطالية، أما باقي الجيش فقد أتجه نحو ميلان متأملاً الوصول إليها قبل وصول الجيش الفرنسي والاحتفاظ بها لحين وصول عشرة آلاف مرتزق ألماني والتي قام نائب الملك في نابولي بتجهيزهم من المانيا^(٤٨).

تجدر الإشارة هنا إلى ان دوقية ميلان كان يهيمن عليها حزب الاستقلال الإيطالي وكانت مخلصه إلى ابرز قادته القوميين فرانثيسكو افالوس (Francesco Avalos)، لكنها أُنْهكت ودمرت بمرض الطاعون الذي ادى إلى فقدانها جزء كبير من سكانها، ولما كانت غير محصنة في عدة نقاط فأنها لم تكن قادرة على الدفاع عن نفسها، وبناءً على مشورة وزير الدوق كريلامو مورن (Girolamo morone) فتحت المدينة أبوابها إلى الملك فرانسوا الاول الذي وصل إلى المدينة عند كراسو (Grasso) بعد عبوره نهر تيسم وفي اليوم التالي دخلت قوة عسكرية فرنسية قوامها مئتي فارس بقيادة الكابتن اركون (Alarcon) إلى ميلان^(٤٩).

في ذات الوقت أعلن عن وصول دوق بوربون نائب ملك نابولي والقائد الفرنسي بيسكارا

(Pescara) والذين أخذوا يقتربون من المدينة مع باقي الجيش الإمبراطوري فكان لهذا الدخول آثار ايجابية على أهل ميلان، إذ شعروا بالأمان وأخذوا يهتفون عاش الدوق، عاش الإمبراطور، لذا حرك الملك الفرنسي قوة قوامها ثلاثمائة مقاتل من الفرسان وستة الاف من المشاة وتقدموا بقيادة تيودور ترولزي (Theodore Trirulzi) للاستيلاء على ميلان، إلا إن الملك فرانسوا الاول خشي على هذه القوة التي لم تكن كافية لمواجهة القوات الإمبراطورية المتواجدة في الداخل، وقرر المسير ليلاً مع جميع فصائل الجيش لمساعدة القوات الفرنسية السابقة الذكر ووضع يده على ميلان كلياً بالقوة^(٥٠).

عندما عَلمَ قادة الإمبراطور المتواجدين بدوقية ميلان بتجهيزات الملك الفرنسي، وجدوا من الافضل تسليم المدينة دون الخوض في معركة خاسرة معه لاسيما وأن المدينة كانت تعاني في تلك المدة من فقر شديد ونقص كبير في السكان^(٥١)، لهذا قرروا تركها والخروج من أبواب مدينة كومو وروما، في الوقت الذي دخل فيه القوات الفرنسية المدينة من باب فرشيلي (Vercell)، تراجعت القوات الإمبراطورية باتجاه لودي (Lodi) واستقرت على نهر ادا (LAdda)، وبهذا تمكن الملك فرانسوا الاول من الاستيلاء على ميلان التي عهد بحمايتها إلى السيد الاقطاعي دي لا ترينويل (Treinoill)

Seigneur de la) الذي كان يتمتع بقدرات عسكرية واستطاع الاستيلاء على دوقية ميلان بالكامل^(٥٢).

من النتائج التي تترتبت على هذه الهزيمة، أن معظم الولايات الإيطالية كانت مستعدة إلى إنهاء تحالفها مع الإمبراطور شارل الخامس خصوصاً البابا كلمنت السابع وحاكم فلورنسا وجمهورية البندقية، كما ان ملاحقة قوات الملك الفرنسي للقوات الإمبراطورية فقدت الأخيرة الأمل بوصول الامدادات اليها وهذا دفعها للاستسلام، اما الإمبراطور فقد شعر بالهزيمة لا سيما بعد تخلي الامراء الإيطاليين عنه مما اضطره إلى عقد الصلح الذي بموجبهُ تنازل عن دوقية ميلان مقابل المحافظة على مملكة نابولي^(٥٣).

بعد الانتصارات التي حققها الملك فرانسوا الاول على قوات الإمبراطور وبناءً على نصيحة عدد كبير من قادته قرر ملاحقة الجيش الإمبراطوري في معسكره في لودي^(٥٤)، لكن القائد الفرنسي بونيريت عارض تلك الفكرة وبالرغم من هزيمته سابقاً فقد بقيّ يحظى بثقة واحترام كبير عند الملك فنصح الأخير بعدم التحرك نحو لودي لأنه من الأماكن المحصنة وتدافع عنه قوات كبيرة لاتزال موالية للإمبراطور وبالتالي ليس من السهل مهاجمته، واقترح بدلاً من ذلك، الاستيلاء على بافيا التي كانت دفاعاتها ضعيفة، علاوة على أن المرتزقة الألمان كانت مرتباتهم قليلة

مما ادى الى نمو مشاعر عدم الارتياح لديهم ودب التذمر بين صفوفهم، فضلاً عن أن سلطة القائد العسكري لم تكن مهيمنة في المدينة وبالتالي أصبح من المستحيل بالنسبة للإسبان المقاومة في دوقية ميلان بعد أن خسروا الجزء الأكبر من قوات المشاة وانسحبوا بسرعة باتجاه مملكة نابولي في جنوب إيطاليا وبناءً على ذلك تحرك الملك فرانسوا الاول مع جميع قواته باتجاه بافيا مؤملاً هزيمة القوات الموجودة في بافيا والبالغة ستة الاف رجل لكي يصبح سيداً على إقليم ميلان^(٥٥).

من جانب آخر فإن الإمبراطور شارل الخامس كان يعتقد إن إقليم ميلان سوف يقرر مصير إيطاليا كلها، ولذا تم توكيل قائد عُرف بشجاعته وقدراته العسكرية هو الكابتن أنطونيو دي ليفا (Antonio de Leiva) مع قوة عسكرية مخصصة في ولائها للإمبراطورية الرومانية المقدسة^(٥٦)، إضافة إلى تأييد سكان الاقليم له، واول عمل قام به اصلاح اسوارها ونظم كافة شؤونها الداخلية واستعد لصد هجوم الجيش الفرنسي، أما الملك فرانسوا الاول فقام بتوزيع قواته حول المدينة لإحكام الحصار عليها ومهاجمتها^(٥٧)، كما تمكن سلاح المدفعية الفرنسية من تدمير جزء من سور المدينة، غير أن الهجوم الفرنسي لم يحقق غايته وخسر الكثير من مقاتليه الامر الذي اضطر قاداته إلى

سياسة فرنسا تجاه الأمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

الانسحاب^(٥٨)، غير أن الملك فرانسوا الاول لم يستسلم وقرر معاودة القتال في اليوم التالي، فقام بحفر قناة لتغيير مجرى النهر بغرض تقليل كمية المياه فيه، إلا أن تلك الجهود باءت بالفشل بسبب سقوط الامطار الغزيرة آنذاك، وبالتالي تخلى الملك فرانسوا الاول عن الفكرة، وبالرغم من العقوبات التي واجهته فإنه لم يتخلى عن عزمه بالسيطرة على بافيا، فكان يعتقد بأن الوقت لا زال يخدمه بالرغم من ضعف قدراته^(٥٩).

ولإتمام ذلك تمسك الملك فرانسوا الاول بالمواقع التي يحتلها حول المدينة وعمل على زيادة قواته العسكرية، فطلب من الولايات السويسرية اعداد جديدة من الجند، علاوة على ذلك ضمن إلى جانبه أحد أهم رجالات الحرب المجريين في إيطاليا هو جان المديشي (Jean de Mdicis) والذي كان تحت أمرته (٣٠٠٠) جندي مرتزق، ومن الجدير بالذكر أن هذا القائد كان في الحملات السابقة إلى جانب الإمبراطور، لكن لم يعمل قادة الإمبراطورية على جذبهم إلى جانبهم في هذه الحملة أما بسبب الإهمال أو لقلّة الأموال لديهم، لذا انتقل إلى خدمة الملك فرانسوا الاول^(٦٠).

انطلاقاً من استراتيجية التخطيط العسكري، كان هناك نوع من التواصل بين مختلف مكونات الحملة الفرنسية، مما أدى إلى توفير المؤن الضرورية للجيش لا سيما ما كان يصل من

سهول بيدمونت الغنية، فكل ما يحتاجه الجيش متوفر، فقد سكن الاخير في الكنائس والاديرة والخيم وملاجئ تحت الارض وبالرغم من شدة برودة ذلك الفصل فإن الجيش كان يتقرب بفارغ الصبر استسلام بافيا، إذ أصبح يعاني من نقص الخشب والمواد الغذائية والعتاد وعدم القدرة على دفع أجور المرتزقة الألمان، ومن أجل تقوية قبضته على دوقية ميلان، أصدر الملك أوامره لأسطول البحر المتوسط المتواجد في مارسيليا بالتحرك إلى جنوب إيطاليا من أجل مساهمتها في الحملة، فقد لاح له بأنه سيصبح قريباً سيد إيطاليا، وقد ساد ذلك الاعتقاد عند الشعب الإيطالي، ولهذا فإن الكثير من الولايات الإيطالية ألقت حول الملك فرانسوا الاول وحاولوا الدخول بمفاوضات معه لاسيما دوق فيرارا (Ferrara) الذي أرسل له مبلغاً مقداره خمسون ألف دوكة وخمسون عربة محملة بالقنابل وكذلك انضم القائد سفورزا إلى الجيش الفرنسي بعد إن كان قائداً لجيش الإمبراطور شارل الخامس في دوقية ميلان^(٦١).

اما البابا كلمنت السابع الحاكم المطلق على كل إيطاليا الوسطى ويتصرف بأموال الكنيسة بصفته رئيساً لبيت مديشي، فقد حاول الطرفين (الإمبراطور - الملك الفرنسي) كسب ود البابا والتحالف معه، لكن كل محاولات الإمبراطور باءت بالفشل لاسيما بعد حملته الفاشلة على

سياسة فرنسا تجاه الإمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

فرنسا والتي حذر البابا من مغبتها معتبراً فشلها سيكون أساساً لهجوم جديد من قبل فرنسا على إيطاليا^(٦٢).

لم يلاق الملك الفرنسي عند عبوره سهول لمبارديا أي مقاومة سوى المقاومة الطفيفة التي أبدتها بعض المدن الإيطالية، لذا فأن البابا كلمنت السابع اعتقد منذ تلك اللحظة بأن الملك فرانسوا الاول سيكون سيد دوقية ميلان وأصبح يخشى قوته لذلك عمل على كسب صداقته وتقوية العلاقة معه^(٦٣)، من جانب آخر حاول البابا إقامة الصلح بين الإمبراطور وملك فرنسا لوقف حالة الحرب، وأقناع الإمبراطور بالواقع الإيطالي الجديد وبأن واجبه الديني كرئيس للكنيسة الكاثوليكية ومصالحه السياسية والاقتصادية تلزمه بالعمل على إيقاف الصراع بين العاهلين، كما بات إيقاف الصراع ضروري للإمبراطور أيضاً لأنه سيؤدي إلى انقاذ مملكة نابولي من الخطر الفرنسي الذي يهددها، غير أن شروط الصلح التي وضعها البابا والتي كانت تصب في مصلحته الخاصة، رُفضت من الجانبين الفرنسي والإمبراطوري إذ اعتبرها كل طرف غير ملائمة لهيبته وطموحاته^(٦٤).

لا بدّ من الإشارة إلى ان مدينة بافيا صمدت أربعة أشهر أمام الحصار الفرنسي وقبل ان تنفذ ذخيرتها ومؤونها وصلتها قوات من الولايات الإيطالية بقيادة الكونستابل دوق بوربون والذي

اتجه بعد ذلك لفك الحصار عن المدن الأخرى وترك مواجهة الفرنسيين بمعركة حاسمة، وبالرغم من أن قادة الجيش الفرنسي فضلوا المناوشات والحصار واستخدام الحرب الدفاعية لإرهاق القوات الإمبراطورية، فإن الملك فرانسوا الاول كان يريد الانتفاض على قوات التحالف الإمبراطوري ومواجهتها بحرب حاسمة، أما الإمبراطور شارل الخامس فقد فضل المواجهة خوفاً من طول الحصار ونقص المعدات والتموين^(٦٥)، وبعد معارك ضارية بين القوات الفرنسية والقوات الإمبراطورية أخذت الجيوش الفرنسية تقاتل بدون خطة عسكرية منظمة لأنها فقدت التوازن والسيطرة، مما أدى إلى هلاك عدد كبير من النبلاء الفرنسيين لاسيما القائد لي تريمولي (La Tremoille) الذي شارك في جميع الحروب الفرنسية منذ نهاية القرن الخامس عشر حتى لقي حتفه في هذه الحرب^(٦٦).

المحور الثاني: معركة بافيا عام ١٥٢٥ وأسر الملك فرانسوا الأول.

في خضم هذه التطورات اعد الإمبراطور شارل الخامس خطة عسكرية لمهاجمة الجيش الفرنسي المعسكر في حدائق ميرابيلو (Mirabilo) شرق مدينة بافيا وذلك في صباح الرابع والعشرين من شهر شباط ١٥٢٥^(٦٧) وخرج الملك من معسكره وتقدم صفوف جنوده وقتل عدداً من ضباط وجنود الأعداء وحمل الجيش

الفرنسي على جيش الامبراطور حتى اضطر
الاخير الى التراجع في بداية الاشتباك وازداد
فرانسوا الاول اعتداداً واعتقد انه ادنى من النصر
من اي وقت اخر، فاعلن في وسط ضباطه
وجنوده والمعركة لاتزال دائرة قائلاً:

"أنا لا اشعر إني ملك فرنسا فحسب، بل ايضاً
دوق ميلان"^(٦٨).

ولكن سرعان ما تطور سير المعركة تطوراً
خطيراً وتدهور في اقل من ساعتين موقف
الجيش الفرنسي إثر هجوم مضاد قام به جيش
الامبراطور، فارتبكت صفوف الجيش وقتل عدد
كبير من القادة والضباط الفرنسيين مني على
أثرها الجيش الفرنسي بهزيمة منكرة^(٦٩)، فقد
عدت معارك بافيا أشهر معارك أوروبا في القرن
السادس عشر، إذ كانت ذات نتائج بالغة الاثر
على سياسة فرنسا الداخلية والخارجية إذ عدت
بمثابة كارثة قومية نزلت بفرنسا عندما وقع الملك
فرانسوا الاول في الاسر وجرح الملك في
موضعين من جسمه ولما رأى ان الهزيمة قد
حلّت به رفض ان يسلم سيفه الى احد ضباط
الكونستابل شارل دوق بوربون وأثر تسليمه الى
لانوي نائب الملك في نابولي^(٧٠)، واقتيد الى
نائب الإمبراطور في إيطاليا وارسله حسب طلبه
إلى ديرسانت- بول الذي يقع في وسط الحديقة
التي كان يريد الملك السيطرة عليها، ومن هناك
تم ارساله إلى حصن بيزيغيتوني

(Pizzighettone) تحت حراسة مني رجل من
الخيالة والف ومئتين من المشاة الاسبانين بقيادة
الكابتن ارگون اما الجيش الفرنسي فقد دُمر كلياً،
إذ قُتل حوالي عشرة الاف رجل في ارض
المعركة وبعضهم غرق في نهر تيسن كما أُسر
أفضل قادة الحرب وكبار أقطاعي المملكة،
باستثناء عدد قليل من النبلاء الجند والضباط
ومنهم الدوق دالنسون (D Alencon) الذين
استطاعوا الهرب من المعركة والتوجه إلى مدينة
ميلان حاملين معهم خبر المعركة المؤلم، مما
دفع حامية المدينة إلى تركها والتوجه نحو
الاراضي الفرنسية^(٧١)، اما فيما يخص الاسرى
الفرنسيين فقد عانى الإمبراطور شارل الخامس
من عددهم الكبير، لذلك امر بالأفراج عن حوالي
اربعة الاف جندي فرنسي وسويسري مقابل
تعهدهم بعدم الخدمة^(٧٢).

يبدو من خلال ما مرّ ذكره ان الاسباب الحقيقية
التي ادت الى هذا التطور في سير المعركة الى
ان جيش الامبراطور كان يضم فرقاً من الجنود
الاسبان المشاة وكانوا يتميزون بصفات حربية
عالية تفوق الصفات التي تميز بها الجنود
الفرنسيين، كما ان الجيش الامبراطوري في
مجموعه كان اكثر اعتماداً على الاسلحة النارية
من الجيش الفرنسي، فضلاً عن تسرع الملك
فرانسوا الاول في خوض المعركة وعدم احباط
خطة عدوه في جره الى الاشتباك المسلح في

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

إسبانيا حاملاً رسالته المتواضعة جداً إلى
الإمبراطور شارل الخامس في مدريد^(٧٦)، يقول
فيها: -

" إذا كان يسرك أن ينطوي قلبك على قدر قليل
من العطف، فتأخذ على
عاتقك مهمة إنقاذ حياة ملك فرنسا الأسير
إنقاذاً يستحقه عن جدارة"^(٧٧).

فهل كان لأسر الملك فرانسوا الأول أثراً مباشراً
في عقد معاهدة مدريد؟ أم للملكة الأم دوراً أكثر
قوة في عقدها؟.

لم يكن امام الوصية على العرش الملكة لويزا من
بد، غير بعث استنجد الى السلطان سليمان
القانوني تطلب فيه تخليص ولدها من الاسر
والانتقام، وقد ابدى السلطان العثماني استعدادهُ
لنجدة الملك الفرنسي، وبدأ بإعداد حملة بحرية
واخرى برية^(٧٨)، لمهاجمة اقاليم الامبراطور
شارل الخامس والملك فرديناند لإجباره على
اطلاق سراح ملك فرنسا وكانت الخطة العسكرية
تقضي بأن يهاجم الاسطول العثماني واسطول
البندقية الموائى الاسبانية بينما يتقدم السلطان
الى الاراضي الايطالية لمفاجئة الامبراطور في
اقليم ميلان^(٧٩).

أما الملكة فقد حاولت إلى استغلال العداء
المستحكم بين الإمبراطور شارل الخامس
والسلطان سليمان القانوني والعلاقات المتوترة
بينهما، ففي الوقت الذي كان فيه السلطان يستعد

الزمن والمكان اللذين حددهما العدو، واخيراً كان
من اسباب تغير ميزان المعركة غرور الملك
واسرافه في الاعتداد بقوته واعتقاده انه لا محالة
منتصر في الحرب^(٧٣).

إن هزيمة فرنسا في معركة بافيا، ترتب
عليها نتائج مهمة حملت في طياتها اعباء ثقيلة
على المملكة، وأوحت متغيراً في توازنات القوى
وتشابك المصالح استغلته الاطراف المنتصرة
والمتربصة وهذا ماسنوضحه في المحور الثالث.
المحور الثالث: نتائج معركة بافيا.

بعد هزيمة فرنسا في معركة بافيا في الرابع
والعشرين من شباط ١٥٢٥ واسر الملك فرانسوا
الاول، إذ أصبحت المملكة الفرنسية تحت إدارة
والدت الملك فرانسوا الأول لويزا سافوي دوقة
انغولم التي عينها الملك وصية على العرش بعد
وقوعه في الاسر وكتب لها رسالة يبلغها فيها
بخبر الهزيمة التي لحقت بجيشه ووقوعه في
الاسر وتعيينها وصية على العرش، ومن أهم ما
كتبه فرانسوا الاول في رسالته الى والدته قوله: -

"إلى نائبة الملك في فرنسا، سيدتي لقد

فقدت كل

شيء ولم يبق لنا غير الشرف وحياتي التي

أنقذت"^(٧٤).

واوصاها بالتأني وحسن التصرف والاعتناء
بأطفاله الصغار^(٧٥)، وطلب منها السماح للقائد
الفرنسي بنيالوسا (Penalosa) الذهاب إلى

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

للقيام بحملته العسكرية الثانية على بلاد المجر، أرسلت الملكة لويزا سافوي بناءً على مشورة وزيرها دوبرا في الخامس والعشرين من شهر نيسان عام ١٥٢٥ أول بعثة دبلوماسية فرنسية إلى السلطان العثماني سليمان القانوني، غير انها لم تصل إلى العاصمة استانبول لاعتراض اعضائها من قبل حاكم البوسنة، الذي قتل المبعوث الفرنسي واثنًا عشر شخصاً كانوا بمعيته وسلب جميع الهدايا التي أرسلت للسلطان العثماني الذي عبر عن اشمئزازه الشديد لتلك الجريمة التي ارتكبت بأمر من ملك النمسا فرديناند عندما علم بأمر المفاوضات التي كانت تجري بين الجانبين الفرنسي - العثماني^(٨٠).

لم تكد الملكة تتولى سلطاتها كوصية على العرش حتى نجحت في توحيد الشعب الفرنسي الذي اظهر تماسكاً لم تشهد البلاد من قبل، واعطت العاصمة باريس مثلاً للدفاع الوطني^(٨١)، فقد اتخذ برلمان باريس عدة اجراءات تهدف إلى الحفاظ على الامن والنظام، فقام بتأسيس مجلس عام وظيفته التصدي لجميع المحاولات التي تهدف إلى عرقلة الامن والنظام واصلاح الحصون والقلاع ومراقبة الانهار التي تمر بمدينة باريس لحمايتها من أي اعتداء خارجي، كما نظم فرقة من الحرس لحماية المدينة بمساعدة اهالي باريس، فضلاً عن ذلك كان هناك مجلس مقره في القصر البلدي (قصر

العدل) مهمته الاساسية هي تنفيذ الاوامر التي تصدر من المجلس العام (الاعلى) وقد اتخذت نفس الاجراءات في المدن الفرنسية الاخرى القريبة من باريس حمايةً للبلاد من الخطر الخارجي^(٨٢).

معاهدة مدريد عام ١٥٢٦.

في الوقت الذي ارسلت فيه تلك العروض إلى الإمبراطور شارل الخامس، فقد تلقى الأخير عرضين متناقضين من داخل الإمبراطورية الرومانية المقدسة نفسها، الاول يدعو إلى ضرورة ان يستغل الظروف المؤاتية لصالحه بواسطة السلاح وتقييد عدوه المهزوم بشروط قاسية، اما العرض الاخر، فقد دعا إلى استخدام الصلح بدلاً من الحرب، إذ يرى أصحاب هذا الرأي بأن المنافع السياسية التي يرغب الإمبراطور الحصول عليها ستتحقق من نتائج الانتصار في معركة بافيا واطلاق سراح الملك فرانسوا الاول والذي يحدد شروط السلام^(٨٣)، وحاول اقناع الامبراطور على رفض العرض الانجليزي ضد فرنسا قائلاً:

"بأنه ليس من الشرف

اعلان الحرب على اي شخص أصبح

سجينك ولا يعرف كيف يدافع عن

نفسه، وفي هذه الحالة

باستطاعتك الحصول على ما تريد دون

استخدام القوات المسلحة"^(٨٤).

سياسة فرنسا تجاه الإمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

٦- يتعهد الملك الفرنسي بتسليم نفسه للسلطات الإمبراطورية تمهيداً لإعادته للأسر، في حالة عدم تنفيذ المعاهدة.

٧- يتزوج الملك فرانسوا الأول الأميرة أليانور Eleanor شقيقة الإمبراطور شارل الخامس.

٨- يتم تنفيذ المعاهدة خلال ستة أسابيع.
في ظل هذه الظروف الصعبة التي تمر بها فرنسا ما هو موقف الملكة لويزا؟

لم تكد الملكة تتولى سلطاتها كوصية على العرش حتى نجحت في توحيد الشعب الفرنسي الذي اظهر تماسكاً لم تشهده البلاد من قبل، واعطت العاصمة باريس مثلاً للدفاع الوطني^(٨٦)، فقد اتخذ برلمان باريس عدة اجراءات تهدف إلى الحفاظ على الامن والنظام، فقام بتأسيس مجلس عام وظيفته التصدي لجميع المحاولات التي تهدف إلى عرقلة الامن والنظام واصلاح الحصون والقلاع ومراقبة الانهار التي تمر بمدينة باريس لحمايتها من أي اعتداء خارجي، كما نظم فرقة من الحرس لحماية المدينة بمساعدة اهالي باريس، فضلاً عن ذلك كان هناك مجلس مقره في القصر البلدي (قصر العدل) مهمته الاساسية هي تنفيذ الاوامر التي تصدر من المجلس العام (الاعلى) وقد اتخذت نفس الاجراءات في المدن الفرنسية الاخرى القريبة من باريس حمايةً للبلاد من الخطر الخارجي^(٨٧).

لاسيما وان انباء التعاون الفرنسي - العثماني وصلت الى اسماع الامبراطور وأدرك خطورة موقف السلطان سليمان القانوني من أسر الملك الفرنسي، لذا اعتمد رأي الفريق الثاني وتبنى فكرة الصلح مع الاسير واجباره على تقديم تنازلات كبيرة للإمبراطورية الرومانية المقدسة، فأرسل السفير السير بورين (Beaurain) إلى باريس حاملاً شروط الصلح التي يريد الإمبراطور فرضها على ملك فرنسا، وبذلك يكون الإمبراطور قد أظهر الكثير من المرونة حتى لا يُنظر له بأنه ظالم امام الله والعالم المسيحي، واعلام الملكة لويزا بشروط الإمبراطور التي بموجبها سيحل السلام بين الطرفين قبل ارسالها إلى ولدها الملك^(٨٥)، فتضمنت الشروط الآتية::

- ١- يتنازل الملك فرانسوا الأول عن دوقية برجنديا (برغونديا) في شرق فرنسا.
- ٢- يتنازل الملك الفرنسي عن كل إدعاءاته في ميلان وجنوه ونابولي وفلندرا وأرتوا.
- ٣- يتعهد الملك الفرنسي بعدم مساعدة نافار.
- ٤- يسترد الكونستابل شارل دوق بوربون جميع الأراضي التي صادرها من ملك فرنسا.
- ٥- يقدم الملك فرانسوا الأول ولديه وليّ عهده والابن الثاني هنري، ليقاما في إسبانيا رهينةً وضمان لتنفيذ أحكام المعاهدة.

سياسة فرنسا تجاه الإمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

هكذا اتفقت جميع انحاء فرنسا على ضرورة الدفاع عن البلاد امام الاخطار الخارجية، وفي ذات الوقت استقبلت الملكة لويزا بقايا الجيش الفرنسي المهزوم من معركة بافيا في مدينة ليون، وشرعت بتنظيم الامور المالية لحاشيتها والعائلة المالكة إذ قلصت عدد الحراس المحيطين بالحاشية وكذلك الجنود الاجانب، واحتفظت بالخيالة والمشاة لحماية مدينة ليون من الاعداء، وبذلك اظهرت الكثير من الحكمة والكفاءة في تنظيم امور الدولة بمساعدة ما يحيط بها من وزراء وحكام اقاليم وموظفين، فلم يظهر عليها ضعف بالرغم من الظروف العصيبة التي تحيط بها^(٨٨).

وفي غضون هذه الاجراءات التي اتخذتها الملكة لويزا لحماية المملكة وتوحيد الفرنسيين لمجابهة الخطر المحيط بهم ومنح فرنسا القوة التي تؤهلها للمفاوضات مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة، بعد موافقة الملك الاسير على ان يقبل كل شيء، وجدير بالذكر ان الملك فرانسوا الاول قد استدعى فرانسوا الاول في الليلة السابعة لعقد المعاهدة رئيس برلمان باريس (دي سيلف) وستة من المشرفين على خدمته في الاسر من الفرنسيين مؤكداً لهم، ان موافقته على المعاهدة انتزعت منه بالإكراه خوفاً على مستقبل فرنسا، لذا فهو يعد المعاهدة باطلة وليس لها اي اثر قانوني^(٨٩).

وبعد ان كان رافضاً للتوقيع على أي معاهدة تحوي شروطاً مهينة له او لفرنسا اضطر إلى توقيع وثيقة تنازل عن عرش فرنسا لابنه بعث بها الى باريس مع الدوق مونت مورنسي (Montmorency) عُدت في حينها أكبر تضحية في سبيل الوطن، واوصى اخته مارجريت دي فالوا ورئيس برلمان باريس دي سيلف (De Selve) اللذين كانا يمثلانه في المفاوضات بأن يتصرفا وفق هذا المبدأ مع مستشاري الإمبراطور وكان في مقدمتهم لانوي نائب الملك في نابولي وبسكير احد قادة الجيش الإمبراطوري وجاتينارا (Gattidara)، مستشار الإمبراطور ورئيس ديوانه، وبدأت المفاوضات في مدينة ليون وبعد طرح الشروط الإمبراطورية التي بموجبها سيعقد الصلح معها واطلاق سراح الملك الاسير في حالة تنفيذها من قبل فرنسا^(٩٠).

وبناءً على ذلك أُستدعي الملك الفرنسي للتوقيع على المعاهدة التي سميت بمعاهدة مدريد في الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٥٢٦، بعد أن قضى في الأسر عاماً تقريباً، رغم قساوة بنودها المجحفة بحق فرنسا ومكانتها الدولية، إذ جاءت الصياغة القانونية للمعاهدة بخمسين^(٩١) مادة أهم ما جاء فيها :-

١- يتنازل الملك فرانسوا الأول عن دوقية برجنديا (برغونديا) في شرق فرنسا.

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

٨- يتم تنفيذ المعاهدة خلال ستة أسابيع^(٩٣). وبذلك أطلق سراح الملك الفرنسي وعاد إلى فرنسا في السابع عشر من شهر شباط عام ١٥٢٧، وعند وصوله الأراضي الفرنسية في آذار من العام نفسه أعلن عدم التزامه بمعاهدة مدريد، معتمداً في ذلك على عدة اسانيد تعد الى اليوم قواعد مقررة في القانون الدولي العام ومنها الاكراه على توقيع المعاهدة وهو في الاسر وان التنازل عن الاقاليم الفرنسية لا تتم الا بعد موافقة مجلس طبقات الامة وبذلك صارت معاهدة مدريد مجرد هدنة بسيطة من وجهة نظر الكثير من المؤرخين^(٩٤).

٢- يتنازل الملك الفرنسي عن كل إدعاءاته في ميلان وجنوه ونابولي وفلندرا وأرتوا.
٣- يتعهد الملك الفرنسي بعدم مساعدة نافار.
٤- يسترد الكونستابل شارل دوق بوربون جميع الأراضي التي صادرها من ملك فرنسا^(٩٢).
٥- يقدم الملك فرانسوا الأول ولديه وليّ عهده والابن الثاني هنري، ليقوما في إسبانيا رهينةً وضمان لتنفيذ أحكام المعاهدة.
٦- يتعهد الملك الفرنسي بتسليم نفسه للسلطات الإمبراطورية تمهيداً لإعادته للأسر، في حالة عدم تنفيذ المعاهدة.
٧- يتزوج الملك فرانسوا الأول الأميرة أليانور Eleanor شقيقة الإمبراطور شارل الخامس.

الخلاصة:

اتسمت علاقة فرنسا بالامبراطورية الرومانية المقدسة خلال الحقبة التي سبقت مجيء الملك فرانسوا الأول إلى عرش فرنسا عام ١٥١٥ بالهدوء تارة والتوتر تارة أخرى وهذا ما املته ظروف البلدين الداخلية وعلاقاتهما مع الدول الأوروبية الأخرى، كما شكّل الصراع بين الملك فرانسوا الأول والإمبراطور شارل الخامس حلقة هامة من حلقات الصراع والتنافس الذي شهدته أوروبا في النصف الأول من القرن السادس عشر والذي انعكس على توتر العلاقات الفرنسية الأوروبية.

بناءً على ما تقدم فإن معركة بافيا لم تكن فقط ضربة موجعة لفرنسا، بل انها شكلت خطراً كبيراً يهددها، فقد قررت مصير إيطاليا وهددت أمن فرنسا نفسها وبالتأكيد أدت إلى ضياع إيطاليا من أيدي الفرنسيين ومن المحتمل غزو فرنسا نفسها، لاسيما وان دوق بوربون قد طلب من ملك إنجلترا هنري الثامن القيام بغزو فرنسا حالاً، وحاول ان يستثمر ذلك النصر لصالح إنجلترا وجدد عرضه على الملك هنري الثامن بجعله ملكاً على فرنسا مؤكداً بأنه لا يوجد عائق في بلد لم يوجد فيه ملك ولا توجد فيه قوات للدفاع عنه، اما فرنسا فقد اعلنت الحداد العام وتولت لويزا سافوي الوصاية على العرش.

أتاحت معاهدة مدريد للإمبراطورية الرومانية المقدسة تفوقاً سياسياً لم تشهد له أوروبا منذ أيام الامبراطورية الرومانية القديمة، إذ سيطرت على كل من ألمانيا ووسط أوروبا وإيطاليا وإسبانيا والأراضي المنخفضة مما أخلّ بمبدأ التوازن الدولي في أوروبا وجعل فرنسا تفكر ملياً لأخذ الثأر من خلال مواردها المالية وتعميم رجالها للنهوض بالبلاد وإعادة بناء الجيش لبعث روح جديدة استعداداً لاستئناف التحالف مع القوى الأخرى ضد امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة.

ان انتصار الامبراطور على ملك فرنسا واملائه شروط معاهدة مدريد عليه، جعل حلفاء الامبراطور يستشعرون الخطر على مستقبلهم من جانب وعدم التزامهم بدفع مستحقات جنود الحلفاء المادية التي اصبحت تمر بضائقة مالية. وسنحاول توضيح موقف الدول الأوروبية من انهيار ذلك التحالف كل على حدا.

إن حمى التنافس بين الدول الأوروبية لم تتوقف عند هذا الحد بل احتفظت بطابعها العام واتخذت تغيرات جديدة ابرزها تبادل الادوار وتغيير الولاءات تبعاً للمصلحة الآنية والبعيدة، وكان الموقف الدولي في أوروبا عقب معاهدة مدريد يمزج بشتى التيارات السياسية والعسكرية المتضاربة، وعلى الرغم من إنتصار الامبراطور شارل الخامس في معركة بافيا واملائه الشروط

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

خصومه اليوم فكان عليه أن يواجه التطورات
السياسية التي أخذت تعصف بالامبراطورية
الرومانية المقدسة وعلى مختلف الصعدة.

على الملك فرانسوا الاول في معاهدة مدريد، إلا
إن المصاعب تزاхمت حوله في أكثر من
جانب، إذ إن حلفائه في الامس أصبحوا

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

الهوامش:

الشاعر الذي كان يهوي الغناء، أمه لويزا دي سافوي (Louise de Savoie) أميرة سافوي التي كانت موصوفه بالاعتدال والجمال والطموح وقد تزلزلت في السابعة عشر من عمرها وأبنت الزواج من ملك إنجلترا هنري السابع (Henry VII) وخصصت حياتها لإعداد أبنائها ليكون ملكاً على فرنسا، والتي ساهمت أكثر من أي شخصاً آخر في تكوين الأفكار السياسية، لذا نجد تأثيرها واضحاً في كل أعماله خلال النصف الأول من حكمه وأخيه رينه (Rene) الملقب بـ الدعي أو الهجين والذي كان موضع ثقة الملك في مراقبة الشؤون المالية والقيام بمهام صعبة في الداخل والخارج، فهو الملك الوحيد من عائلة فالوا أورليان والذي أُقْبِ بـ (أب الشعب)، إذ إن الملك لويس الثاني عشر وزوجته آن دوقة بريتاني (Anne Duchesse de Bretagne) لم ينجبا وريثاً للعرش، أعتلى فرانسوا عرش فرنسا وهو في الحادية والعشرين من عمره في كانون الثاني ١٥١٥ وغمرت السعادة قلوب الجميع وفي مقدمتهم والدته، إذ جمع بين سمات الفروسية ومزايا عصر النهضة جعلاً منه مؤثراً بالشعب الفرنسي، لذا علقت فرنسا عليه آمالاً كبيرة. للتفاصيل ينظر:

Desmond, Steward, Francois I Prince Of Renaissance, New York, 1973

٦- تقرر تجديد معاهدة لندن في مرسوم مؤرخ في الخامس من نيسان ١٥١٥ مؤكداً على التنازل عن اقليم تورنه والتعهد بدفع الدين المتفق عليه من العام الماضي حوالي ٢٠٠ الف ايكو والذي يعادل نصف مهر ماري الانجليزية. ينظر: عبد الحسين، فلاح حسن، ثورة العوام والمجتمع التجاري في قشتالة ١٥٢٠، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٥٨، ١٩٨٧، ص ١٠٦.

٧- بعد زيارة الامبراطور شارل الخامس لإنجلترا في اذار ١٥٢٠ طلب من الملك هنري الثامن الوقوف الى

١- لتفاصيل ينظر: عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، مصر، دار الفكر العربي، ١٩٩٩.

2- Jacqueton, G, "La Politique Exterleure De Louise De Savoie Lirelations Diplomatique Dela Franceet De Langlettrre Pendant La Captivit De Francois Ier " Paris, 1892, P. 27-28.

3- Palffy, Geza, The Impact of the Ottoman Rule on Hungary, Hungary Studies, V: 28, Nos: 1-2, 2001, P. 110-111.

٤- شارل (شارلكان)، ابن فيليب الجميل وحنا المجنونة، ولد عام ١٥٠٠، توج ملكاً على اسبانيا وعمره عشرين عام، اي في عام ١٥٢٠ وأصبح ملكاً على المانيا وريثاً شرعياً لاسرة آل هابسبرغ في عام ١٥٢٩ بعد وفاة جده مكسمليان الاول (١٥٢٠-١٥٠٨) Maxililian I، توفي والده في ٢٣ كانون الثاني ١٥١٥ وترك له ممالك قشتالة وارغون ونافال ونابولي وصقلية ومملكة هولندا، فصارت فرنسا محاصرة بين املاكه الواسعة، وأزاء ذلك نشبت الحرب بينه وبين الملك الفرنسي فرانسوا الاول. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Armstrong, Edward, The Emperor Charles V, Vol. 1, Martins, London, 1910.

٥- ولد فرانسوا الأول (François I) في مدينة كونيالك في الثاني عشر من آب عام ١٤٩٤، والده شارل دي فالوا المعروف بـ (شارل أورليان كونت إنغولم) وحفيد الملك الفرنسي شارل الخامس الذي توفي وفرنسا لم يتجاوز العام الثالث من عمره، جده شارل أورليان

سياسة فرنسا تجاه الأبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

10- Ursu.J, La Politique Orientale de Françoise I^{er} (1515-1547), Paris, 1908, P. 18.

١١- سميت بهذا الاسم نسبةً إلى قرية إيطالية تقع على مقربة من مدينة ميلان.

12- Mignet.Par, Rivalite Francois L^{er} et Charles V, Vol.1, Paris, 1875, P. 121-122 .

13- Grant.A.J, The French Monarchy (1483-1789), Vol. 1, Paris, 1931, P. 184.

14- Doucet, Roger, Etude Sur le Gouvernemet de Francois I^{er} Dans ses rapports avec Le Parlement de Paris I^{re} Partie (1515-1525),

Vol.1, Paris, 1921, Op, Cit, P. 293.

15- Grant, A.J, Op, Cit, P. 184-185.

١٦- مصطلح فني في تاريخ فرنسا يتغير مدلوله من عصر إلى آخر ويطلق عليه في مدة البحث القائد العام للجيش الفرنسي، وكان صاحب هذا اللقب - واسمه بالإنجليزية (constable) - يشرف أول الأمر على إستبطلات ملك فرنسا ويطلق عليه كونت الاستبطلات (le Comte des Etadles) وفي سنة ١١٩١ حين ألغيت رتبة كبير موظفي القصور المسماة (Senechal) وأصبح الكونستابل لقباً رفيعاً يحمله قائد الجيش الفرنسي. للمزيد من التفاصيل ينظر:

الشناوي، عبد العزيز محمد، أوربا في مطلع العصور الحديثة، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧، ص ٢٤١.

١٧- ولد في ١٧ شباط ١٤٩٠ في مقاطعة مونتينيسير، والده جيلبرت (Gilbert) كونت مونتينيسير وقد توفي عام ١٤٩٦، والدته كلارا غونزاغا (اتموز ١٤٦٤ -

جانبه ضد الفرنسيين، وضمن مساعي الأخير لإيجاد صيغة للتفاهم بين البلدين، التقى بالملك الفرنسي في كاليه في حزيران ١٥٢٠ والامبراطور شارل الخامس في كرافلينز (Gravalines) في تموز من نفس العام واتفق معهم على عقد مؤتمر مشترك في كاليه تتعهد فيه الامبراطورية الرومانية المقدسة وانجلترا بعدم عقد معاهدة منفصلة مع فرنسا في العامين القادمين، لكن هذا الاجتماع لم يعقد بسبب قيام انتفاضة الكوميونيروس (العوام) Comuneros والتي اندلعت ضد انتخاب شارل امبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة لانهم ارادوا ملك اسبانيا والتي تسببت ايضاً بعدم قدرة الامبراطور على محاربة فرنسا. للتفاصيل ينظر: عبد الحسين، فلاح حسن، المصدر السابق.

8- Mignet.M, Histoire de Revolution Francaise (1789-1814),

Tome.2, Paris. 1903, P. 101-107.

٩- أختير بريسونيه أسقفاً في مدينة ميوكس عام ١٥١٧ ومن هناك بدأ حركته الإصلاحية القائمة على إعادة النظر في التنظيم الديني وتعليم رجال الدين من الطبقات الدنيا والتركيز على دراسة اللاهوت ووجه بريسونيه الدعوة إلى العديد ممن شاطروه الرأي في وجوب القيام بحركة إصلاح حقيقية في فرنسا، وحضر إلى ميوكس كل من جوس فان (Josse Van) ومارتل موزير (Martial Mozuir) وجيرارد روسل (Gerard Roussel) وفرانكس فاتبل (Francois Vatable) وليفيفر (Lefevre)، واجمع الكل على وجوب دراسة اللاهوت والإنجيل من مصادره الأولى وأسسوا ما عرف بحلقة ميوكس. للتفاصيل ينظر:

نعمة، يونس عباس، حركة الإصلاح الديني في فرنسا ١٥١٥-١٥٦٠، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد الرابع، العدد ١، ٢٠١٤، ص ١٨١.

سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

٢٠- الشناوي، عبد العزيز، المصدر السابق،
ص ٢٤٤-٢٤٥؛ Urs.J,Op,Cit,P.23.

21- Stanley,Chrimes,Op,Cit,P.47.

22- Gunn,S.J, "The Duke of Suffolk
March on Paris in 1523",The English
Historical Review 101,No
400,July,1986,P.596-598.

٢٣- ولد في العاشر من اذار عام ١٥٠٣م وهو من آل
هابسبرك وكان اول ارشيدوق للنمسا حكم بين ١٥٢١-
١٥٦٤م وبعد وفاة لويس الثاني عام ١٥٢٦ م حكم
فرديناند بصفته ملكا على كل من بوهيميا والمجر ودخل
في صراع مع العثمانيين على المجر طوال مدة حكمه
وبعد تنازل اخيه عن العرش بصفته امبراطوراً
للامبراطورية الرومانية المقدسة في عام ١٥٥٦م حكم
بصفته امبراطورا حتى وفاته في فيينا في الخامس
للتفاصيل ينظر: . والعشرين من تموز عام ١٥٦٤م
Chroust,P.D.Anton, Kaiser Fredinand I,
Universitats-Buchdruckerei,1906.

24- Quotid in: Urs,J,Op,Cit,P.23.

25- Ibid,p.23.

٢٦- راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت،
ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا، ولد مارتن لوثر من
لودر هانز ومارغريت نبي يندمان في العاشر من تشرين
الاول ١٤٨٣ في أيسلبن ضمن ألمانيا حالياً، التحق
بإحدى المدارس اللاتينية في مانسفيلد، عام 1497حيث
انضم إلى مدرسة يديرها مجموعة من الرهبان على أسس
الحياة المشتركة، وأخيراً إلى إيزنباخ عام ١٤٩٨، حين
كان لوثر في سن التاسعة عشر، دخل جامعة إيرفورت
وطبقاً لرغبة والده، التحق لوثر بكلية الحقوق في إيرفورت
عام ١٥٠٥، شر في عام ١٥١٧ رسالته الشهيرة المؤلفة

٢حزيران ١٥٠٣) Klaza Gonzaga ابنة الماركيز
فيديريكو ومارجريت بافاريا، تزوج شارل في ١٠ آذار
عام ١٥٠٥ من دوقة بوريون سوزان ابنة الملك لويس
الحادي عشر واصبح الوريث لال بوريون، ويعد احد
كبار النبلاء الاقطاعيين في فرنسا واثبت جدارته الحربية
في الحروب الايطالية. للتفاصيل ينظر:

Stanley,Chrimes, HenryVII, Berkley,
University Of California
Paris,1972,Vol.2,P.46

١٨- كانت لشارل موارد مالية وبشرية متمثلة في كثرة
اتباعه ما جعل منه قوة ذات بأس شديد تتحدى ملك
فرنسا بل تتطلع الى عرشها، وكانت معيشتها في
إقطاعياته المترامية الاطراف ادنى الى حياة الملوك منها
الى معيشة الامراء، وقد آلت اليه بعد وفات زوجته
سوزان معظم الاراضي الاقطاعية التي طالب بها الملك
فرانسوا الاول ووالدته، فكان هذا الامر من اهم الاسباب
التي ادت الى سوء علاقتهم، الا ان احد اتباع فرانسوا
الاول كشف المؤامرة ونقل تفصيلاتها اليه ولم يلبث
الاخير ان وضع رقابة شديدة على تحركات الكونستابل
وتظاهر بالرضا عليه وطلب منه ان ينظم للجيش
الفرنسي المتجمع في ليون للزحف على ميلان ولكنه
رفض وتظاهر بالمرض لأنه شعر بأن فرانسوا الاول عَلمَ
بمخططهم وتمكن من الهرب في ١٥٢٣خشية اعتقاله
فاتجه الى جنوب اسبانيا ثم الى مقاطعة فرانك كومتية
(Franche Comte) واستقر اخيرا في ايطاليا واسند
اليه الامبراطور قيادة القوات الامبراطورية في معركتها
المقبلة ضد الجيش الفرنسي. للتفاصيل ينظر:

الشناوي، عبد العزيز، المصدر السابق، ص ٢٤٢-٢٤٥؛
Stanley,Chrimes,Op,Cit,P.48.

19- Bacon,J, Life and Time of Francis
I,London,1829,P.99-100.

سياسة فرنسا تجاه الأمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

٢٨- ولدت عام ١٤٩٢ في مدينة انجوليم لذلك تسمى ايضا مارجريت انجوليم (Marguerite d Angonieme) انضمت الى التاج الفرنسي في عهد ملك فرنسا شارل الخامس وبقيت محط نزاع بين الانجليز والفرنسيين الى ان ضُمت نهائيا الى فرنسا في عهد الملك فرانسوا الاول عام ١٥١٥، تزوجت مارجريت مرتين، الاولى من الدوق شارل دالنسون وبعد وفاته تزوجت من ملك نافار هنري دالبر (Henri D Albert) لذا كان من القابها دوقة دالنسون وملكة نافار، وقد اشتركت مع رئيس برلمان باريس دي سيلف (De Selve) في المفاوضات الشككية التي ارادها الامبراطور شارل الخامس قبل التوقيع على معاهدة مدريد، وتوفيت عام ١٥٤٩. للتفاصيل ينظر:

Duverger, Duprat, autevs, Marguerite de Valois (Reine de Navarre), Tome.5, Paris. N.D
29- Larousse, Grand, encyciopediqa, T.5, Paris, 1962, P.244.
30- Larousse, Op, Cit, P.244.
31- Ibid, P.245.

٣٢- ديورانت، ول، قصة الحضارة (الإصلاح الديني)، ترجمة: عبد الحميد يونس وعلي أدهم، بيروت، ج٢٥، دار الجيل، ١٩٨٨، ص٢٤.

٣٣- الشناوي، عبد العزيز، المصدر السابق، ص٢٤٧-٢٤٨.

٣٤- لذا رفض الملك مقترح السوربون الذي اراد اضافة كتابات ليفيفير الى قائمة الكتابات الممنوعة بحجة انها تدعو الى الهرطقة عام ١٥٢٤. للتفاصيل ينظر:

ديورانت، ول، المصدر السابق، ج٢٥، ص٢٤.

٣٥- ولد في فلورنسا بعد عام من مقتل والده جولندي مديسي في مؤامرة بازي وذكر ان زواج والده كان غير

من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها [بلاهوت التحرير](#) وسلطة [البابا](#) في الحل من "العقاب الزمني للخطيئة"، قدّم لوثر أيضًا ترجمة خاصة به للكتاب المقدس بلغته المحلية بدلاً من [اللغة اللاتينية](#) التي كانت اللغة الوحيدة التي سمحت الكنيسة الرومانية باستخدامها لقراءة الكتاب المقدس، ما أثر بشكل كبير على الكنيسة وعلى الثقافة الألمانية عمومًا، وتوفي في الثامن عشر من شباط عام ١٥٤٦. للتفاصيل ينظر:

Grisar, S.J. Hartmann,

Luther, Vol. I, London, 1913.

٢٧- مصطلح يطلق من وجهة نظر من يستخدمها والذي ينتمي إلى جماعة كانت قد اتفقت فيما بينها مسبقا على ما هو "أرثوذكس"، أي صحيح و ملتزم بالأصل، أي أصوليا تقليديا، و تستخدم كلمة "هرطقة" لوصف أي رؤية لا تتوافق مع الراسخ في أي مجال تستخدم لفظة "أرثوذكس" في المسيحية الأرثوذكسية الشرقية و البروتستنتية و الإسلام (في الكتابات الغربية أساسا) و بعض الفرق اليهودية و بقدر أقل في بعض الديانات الأخرى، لا يَصِفُ من يُعَدُّون هراطقة آراءهم على أنها هراطقات، فمثلا يرى المسيحيون [اللاتين الكاثوليك](#) أن [البروتستانتية](#) هراطقة، بينما ترى جماعات غير كاثوليكية أن الكاثوليكية هي [الردة الكبرى أي هراطقة](#) وفي المقابل فإن من يوصفون بأنهم هراطقة يرون أنفسهم على أنهم إصلاحيون أو مجددون أو أنهم يُنْفَوْنَ العقيدة و يخلصونها مما شابها، أو أن فهمهم لها هو الفهم الأصلي الذي انحرفت عنه الجماعة التي تصف ذاتها بأنها أرثوذكسية. للتفاصيل ينظر:

V.Dubarat, M.le Chanoine, Histoire De

L'Heresie De Bearn, Vol.2, Tarbes, 1932.

سياسة فرنسا تجاه الأمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

⁴⁹⁻ Mignet,Par, Rivalite

Francois,Vol. 1,Paris,1875,P.6.

⁵⁰⁻ Mattingly,Garrett, Renaissance

Diplomacy,Boston,1955,P. 140.

51- Migne.Par,Op,Cit,P. 1.

52- Mignet.M,Vol.2,Op,Cit,P.7.

53- Grant.A.J,Op,Cit,P.83.

٥٤- الصطوف، عبد الكافي وآخرون، دراسات في تاريخ أوربه في العصر الحديث، سوريا، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٩، ص ١٠٣.

55- Mignet.Par,Op,Cit,P.8-9.

56- Ibid,P.12.

٥٧- للاطلاع على تفاصيل سير المعركة ينظر مخطط ملحق (١)، وملحق (٢) يوضح ذلك.

58- Doucet,Roger,Vol.1,Op,Cit,P.116.

59- Mignet,Par,Vol.1,Op,Cit,P.14.

60- Ibid,P.16.

61- Mignet.M,Vol.2,Op,Cit,P.17-18.

62- Grant.A.J,Op,Cit,P.182.

63- Larousse,Op,Cit,P.244.

64- Grant.A.J,Op,Cit,P.183.

65- Doucet,Roger,Vol.2,Op,Cit,P.117.

66- Doucet,Roger,Vol.2,Op,Cit,P.127.

67- Merriman,Reger Bigelow,Suleiman
The Magnificent (1494-1566),
N.P,N.D,P.41.

٦٨- نقلاً عن الشناوي، عبد العزيز، المصدر السابق، ص ٢٥٤.

69- Merriman,Reger Bigelow,Op,Cit,P.41.

ينظر ملحق (١) الخريطة التي توضح تفاصيل سير معركة بافيا.

شرعي ولم يكن رسمياً إلا بعد إقرار القوانين الكنسية بعد ذلك بشرعيته ازداد نفوذه بعد ان اصبح قساً ومساعداً لعمه البابا ليو العاشر وفي عام ١٥١٣ اصبح برتبة كاردينال وازداد شهرة في زمن البابا اديان السادس (١٥٢٢-١٥٢٣)،اصبح البابا التاسع عشر بعد المئتين للكنيسة الكاثوليكية في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني عام ١٥٢٣ حتى وفاته وكان يُلقب بالبابا التعيس لأنه كان دبلوماسياً بارعاً ذا ثقافة عميقة وتجارب واسعة لكنه تنقصه الشجاعة والقدرة على حسم الامور . للمزيد من التفاصيل ينظر:

Vaughan,M,Herbert, The
MediciPopes(Leox.And Clement
VII),London,1908.

36- Grant.A.J,Op,Cit,P.181.

37- Mignet.M,Op,Cit P. 1.

38- Larousse,Op,Cit,P.244.

39- Mignet.M,Op,Cit,P.1.

٤٠- نقلاً عن: الشناوي، عبد العزيز، المصدر السابق، ص ٢٥٣.

41- Mignet.M,Op,Cit,P.2.

42- Quotid in:Ibid,P.3.

43- Larousse,Op,Cit,P.244.

44-

Zygophycees, Trypanosomiasis, Encyclopdia
aUniversalis,Corpus.23,Paris,1996,P.309.

45- Mignet.M,Op,Cit,P.3-4.

46- H.Prescott,William, History Of The
Reign Of Ferdinand And Isabella,Vol.3,
Philadelphia,1872,P.46.

47- Mignet.M,Op,Cit,P.4-5.

48- Ibid,P.5.

سياسة فرنسا تجاه الأمبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

- سنة لمرض اصابها. ينظر: الشناوي، عبد العزيز،
المصدر السابق، ص ٢٥٦.
- 85-Mignet,M,Vol.2,Op,Cit,p.68.
- ٨٦- نقلاً عن: ديورانت، المصدر السابق، ج ٢٥،
ص ٣٣.
- 87-Ibid,P.41.
- 88-Paris,Et Gatton, Etudes Sur Francois
Premiere, roi de France,Sur sa vie Privee
et son regne par pawlin
paris,T,II,Paris,1885,P.127.
- 89-Quoted un:Paris,Et
Gatton,Op,Cit,P.77.
- 90-Mignet.M,Vol.2,Op,Cit,P.79.
- 91-Ibid,P.84.
- 92-Ibid,P.87.
- ٩٣- الشناوي، عبد العزيز، المصدر السابق، ص ٢٦٢.
- ٩٤-Akalin,Esin and Other: Reprerentations of
Ottoman Turks in English
Drama,Canada,2001,P.29.
- 70- Jenkins,Hester Donaldson, Ibrahim
Pasha,Vol.2,New York,1911,P.59.
- 71- Mignet.M,Vol.2,Op,Cit,P.60.
- 72- Ibid,P.62.
- ٧٣- الشناوي، عبد العزيز، المصدر السابق، ص ٢٥٥.
- 74- Quotid in:Rager Bigelow
Merriman,Op,Cit,p.41.
- 75- J.Urs,OP,Cit,p.33.
- 76- Ibid,p.33.
- 77- Ibid,P.41.
- 78- M.Mignet,Vol.2,Op,Cit,P.84.
- ٧٩- ينظر ملحق (٣).
- ٨٠- ملحق (٤) يوضح الختم الإمبراطوري والختم الملكي
اللذان دُبلتا بهما المعاهدة.
- 81- Esin Akalin, Discovering Self and
Other:Reprerentations of Ottoman Turks in
English Drama,Canada,2001,P.29.
- 82- Roger Doucet,Vol.I,P.111.
- 83-Quoted un:Merriman,Rager
Bigelow,Op,Cit,p.41.
- ٨٤- وذلك لان زوجته كلود ابنة الملك لويس الثاني
عشر توفيت في عام ١٥٢٤ عن عمر خمسة وعشرين

المصادر:

أولاً: المصادر الاجنبية:

أ/ المصادر الفرنسية:

- 1- Doucet,Roger, Etude Sur le Gouvernemet de Francois I^{er} Dans ses rapports avec Le Parlement de Paris I^{re} Partie (1515-1525), Vol.1-2,Paris,1921.
- 2- Duverger,Duprat,autevs, Marguerite de Valois (Reine de Navarre),Tome.5,Paris.N.D.
- 3- Jacqueton,G,"La Politique Exterieur De Louise De Savoie Liur rlations Diplomatique De La Françouit De LAngleter Pendant La Captivit De Francois Ier " Paris,1892.
- 4- Mignet,Par, Rivalite Francois,Vol.1,Paris,1875.
- 5- Mignet.M., Histoire de Revolution Francaise (1789-1814), Tome.2,Paris.1903.
- 6- Mignet.Par, Rivalite Francois L^{er} et Charles V,Vol.1,Paris,1875.
- 7- Ursu.J,La Politique Orientale de Françoise I^{er} (1515-1547),Paris,1908.

ب/ المصادر الإنكليزية:

- 1- Merriman,Reger Bigelow,Suleiman The Magnificent (1494-1566),N.P,N.D.
- 2- Armstrong,Edward, The Emperor Charles V,Vol.1,Martins,London,1910.

- 3- Bacon,J, Life and Time of Francis I,London,1829.
- 4- Chroust,P.D.Anton, Kaiser Fredinand I, Universitats-Buchdruckerei,1906.
- 5- Esin Akalin, Discovering Self and Other:Reprentations of Ottoman Turks in English Drama,Canada,2001.
- 6- Grant.A.J,TheFrench Monarchy(14831789),Vol.1,Paris,1931.
- 7- Grisar,S.J.Hartmann, Luther,Vol.I,London,1913.
- 8- Gunn,S.J, "The Duke of Suffolk March on Paris in 1523",The English Historical Review 101,No 400,July,1986.
- 9- H.Prescott,William, History Of The Reign Of Ferdinand And Isabella,Vol.3, Philadelphia,1872.
- 10- Jenkins,Hester Donaldson, Ibrahim Pasha,Vol.2,New York,1911.
- 11- Mattingly,Garrett, Renaissance Diplomacy,Boston,1955.
- 12- Stanley,Chrimes, HenryVII, Berkley, University Of California Paris,1972,Vol.2,P.46.
- 13- V.Dubarat,M.le Chanoine, Histoire De L'Heresie De Bearn,Vol.2,Tarbes,1932.

..... سياسة فرنسا تجاه الامبراطورية الرومانية المقدسة ونتائجها

14- Vaughan,M,Herbert, The
MediciPopes(Leox.And Clement
VII),London,1908.

15-Desmond,Steward, Francois I Prince
Of Renaissance,NewYork,1973.

ثانياً: المصادر العربية والمصرية:

٣ - ديورانت، ول، قصة الحضارة (الإصلاح الديني)،
ترجمة: عبد الحميد يونس وعلي أدهم، بيروت، ج٢٥،
دار الجيل، ١٩٨٨.

١- الشناوي، عبد العزيز محمد، أوربا في مطلع
العصور الحديثة، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو
المصرية، ١٩٧٧.

٢- الصطوف، عبد الكافي وآخرون، دراسات في تاريخ
أوربه في العصر الحديث، سوريا، منشورات جامعة
دمشق، ٢٠٠٩.

ثالثاً: الدوريات الإنكليزية:

1- Palffy, Geza, The Impact of the
Ottoman Rule on Hungary, Hungary

Studies,V:28,Nos:1-2,2001.

رابعاً: البحوث المنشورة:

٢- نعمة، يونس عباس، حركة الإصلاح الديني في
فرنسا ١٥١٥-١٥٦٠، مجلة مركز بابل للدراسات
الإنسانية، المجلد الرابع، العدد ١، ٢٠١٤.

١- فلاح حسن، ثورة العوام والمجتمع التجاري في
قشتالة ١٥٢٠، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٥٨،
١٩٨٧.

خامساً: الموسوعات الفرنسية:

1- Larousse, Grand,
encyciopediqa,T.5,Paris,1962.

2-
Zygophycees, Trypanosomiasis, Encyclopedi
aUniversalis, Corpus.23, Paris, 1996

Abstract

During the First half of the sixteenth century, the European countries witnessed unstable situations in all aspects of life due to the radical changes which negatively affected the relationship which combined the European countries. As a result, historians described this century as the (transformation century), as we find that each country tried to build its political and regional entity on the expense of its neighbouring country. This made the political borders change from time to time, especially after the entrance of France the war with the Holy Roman Empire and what accompanied it of political and diplomatic developments which ranged between charters and treaties, on one hand, and conflicts and wars on the other hand.

Scientific motives, knowledge aspiration, understanding the French Policy towards the Holy Roman Empire, and what accompanied it of historical events, treaties, military alliances that changed the course of the European Policy especially the conflict which the Italian lands witnessed at the end of the fifteenth century and the first half of the sixteenth century. Besides the topic has not been

investigated before by Iraqi researchers, all these constitute the motive which made the researcher choose this subject entitled (The Policy of France towards the Holy Roman Empire in the reign of king François I (the first)– The researcher made the time extending between the year 1515 which represented the holding of François I the throne of France and 1547 which was the end of François I reign on France due to his death, the timeframe of this research as it is regarded as a stage which was standing on its own and witnessed important historical events.

The nature of the Study has required dividing it into an introduction, three chapters and a conclusion.

The first chapter deals with the regional policy of France (1483–1520) and it includes two sections (parts). The first section focuses on the regional policy of France during the period (1483–1515). The Second section, on the other hand, investigates the regional policy of France in the reign of king François I (1515–1520) including subpoints.

up First: François I, (his life and work).

Second: his policy after holding the throne and it also sheds light on his interior policy and his policy towards the church and religion men.

Third: his regional expansion in Milan and Gerog, The second chapter includes France Policy towards the Holy Romanian Empire (1521-1533) It includ Sections – The first deals with the Holy Romanian Empire in the period (1515-1525), The second section includes Madrid treaty in 1526 and its influence on the policy of the European countries (England, Ottoman State, and Pope Clement VII, and his role in kojnak nato). The third section presents France Position towards the invasion of the Italian lands by the Holy Romanian Empire and its effects (1527-1533).

The third chapter is devoted to the influence of the French- Ottoman alliance on the policy of the Holy Romanian Empire and its allies, It is divided into three sections. The first section investigate the French – Ottomanian nearness and its influcnce on the policy of the Holy Romanian Empire (1534-1536). The second section studies the French – Ottomanian alliamce and its influence on the policy of the Holy Romanian Empire and its allies (1537-1540). The third section deals with the French Position towards the greeds of the Holy Romanian Empire in North Africa (1541-1547).

We have concluded that relation of France with the Holy Romanian Empire during the era which preceded the advent of king François I (the first) to the throne of France in 1515. I had been characterized with calmness one time and with tension another time and with tension another time. The was what the inrelatiternal circumstances of the two counties had determined and their erlations with the other European countries. The conflict between the king François I and the Emperor Charles V had formed an important episode from the episodes of conflict and competition which Europe witnessed in the first half of the sixteenth century, and it had been reflected on the tension of the French-European relations.

The study ends with documenting the referemces used in writing the research. These references have been arranged alphabetically. In addition, illustrative maps have also been included which represent the most important events which accompanied the policy of France and its allies towards the Holly Romanian Empire and its allies. We hope that this study presents a clear image about the history of France during this period.